

الاسلام و الديمقراطية



آية الله العظمى حسيني نسب



المقدمة

تعد العلاقة بين الديمقراطية والدين بشكل عام ، والعلاقة بين الديمقراطية ومدرسة الإسلام بشكل خاص ، من أكثر القضايا تحديًا في عهدنا الراهن.

وقد اعتبر بعض علماء العالم الإسلامي هاتين الظاهرتين متوافقتين مع بعضهما البعض وحاولوا إثبات أن الإسلام يوافق الديمقراطية. بينما قدمت مجموعة أخرى الدين منافيا لها و معارضا مع معالمها.

وقد سعى بعض العلماء المسلمين إلى التفصيل بين الأمرين في قبول أو رد الديمقراطية ، بحجة أن نظرية الديمقراطية يمكن تعريفها بطريقتين:

1. الديمقراطية تعني حكومة الشعب مع التركيز على القيم الإنسانية مثل حرية التعبير والعدالة والمشاركة الشعبية والمسؤولية أمام الناس.

2. ديمقراطية على النمط الغربي مع نزعة نحو الليبرالية والعلمانية في المجالات السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية.

تقدم هذه المجموعة من المفكرين القراءة الأولى للديمقراطية على أنها متوافقة مع الإسلام ، والقراءة الثانية على أنها غير متوافقة مع الدين والقانون الإلهي.

وسبب هذا الرأي هو أننا نجد في مدرسة الإسلام مبادئ تؤكد على القيم المشتركة للدين الحقيقي والديمقراطية بمعنى حكم الشعب. بينما الرسالة الأساسية للدين ، المتمركزة حول الله ، تتعارض مع بعض أسس الليبرالية والعلمانية الغربية ، بمعنى فصل الدين عن الدولة ، أو فصل الدين عن السياسة.

ومن هنا سنحاول شرح وجهة نظرنا في هذا الصدد انطلاقاً من

مبادئ عقلانية و فطرية وحسب المصادر والمعتبرة الدينية.

تعريف الديمقراطية

كلمة ديمقراطية مشتقة من الكلمة اليونانية δημοκρατία

(dēmokratía) التي تعني حكومة الشعب. تتكون هذه الكلمة

أيضًا من كلمتين يونانيتين أخريين على النحو التالي:

1. δῆμος أو Δήμος (dēmos) تعني الناس.

2. κράτος (Kratos) تعني السلطة ، أو Κρατία (kratia) تعني

الحكومة.

وهكذا ، فإن كلمة الديمقراطية تعني في الأصل القوة الشعبية أو

حكومة الشعب.

هذا في اللغة، و لكن تم تعريف الديمقراطية في مصطلح العلوم

السياسية بطرق مختلفة ، و نحن نذكر بعضها كالتالي:

• حكومة الشعب بواسطة الشعب.

• حكومة الشعب من قبل الشعب للشعب.

• حكومة الأغلبية.

• مجموعة من المؤسسات التي تهدف إلى تقليل الأخطاء الإدارية والسياسية في المجتمع من خلال توسيع المشاركة العامة وتقليل دور الفرد الشخصي في صنع القرار السياسي.

• تكافؤ الفرص للأفراد في المجتمع للتمتع بالحريات والقيم الاجتماعية.

• شكل من أشكال الحكم تكون فيه سلطة الحكم مخولة قانونًا لجميع أفراد المجتمع بشكل عام.

يعود سبب الاختلافات في تفسيرات العلماء في تعريف الديمقراطية إلى أن هذه الظاهرة قد طُبِّقت في بلدان متعددة بأنماط وأيديولوجيات مختلفة ، وتم تلوينها في كل بلد وفقًا لخصائص تلك المنطقة.

الديمقراطية والتنمية السياسية

ظاهرة الديمقراطية تنبثق وتنمو في ضوء التنمية السياسية. بعبارة اخرى، تسير الديمقراطية جنبًا إلى جنب مع التطور السياسي.

إن التنمية السياسية عملية تتطلب تحقيق المشاركة العامة والديمقراطية وإقامة النظام الحكومي الصحيح وتحديث المنظمات والإصلاحات الإدارية وتعبئة القوى والتسهيلات. بمعنى آخر ، التنمية السياسية تعني القدرة المتأصلة في النظام على تلبية احتياجات الشعب ، والتي تقوم على أساس الشرعية والمشاركة العامة للشعب في الشؤون السياسية.

تقوم التنمية السياسية على الركائز والأسس الأساسية التالية:

1- الديمقراطية.

2- تحقيق الحرية والحقوق الأساسية للشعب.

3 - سيادة القانون.

4- تعزيز شرعية النظام في ضوء دعم الأمة وتعزيز علاقة

المسؤولين الحكوميين بالشعب وحسن سير الحكومة.

5- التوزيع المنطقي للسلطة على أساس مبدأ الفصل بين

السلطات.

6- رفع كفاءة الجهاز الإداري وإزالة النواقص البيروقراطية

لخدمة الشعب بشكل أفضل.

7- قدرة النظام على جذب المشاركة الشعبية على الساحتين

المحلية والوطنية.

8- تنسيق أداء النظام مع سياساته المعلنة.

9- الاستقلال السياسي.

10. تعزيز الوحدة الوطنية.

11. مساءلة مسؤولي النظام.

12. تخصص الهياكل الحكومية والاعتماد على الجدارة من خلال

تدريب الكوادر المتخصصة وإسناد الأمور إلى مديرين مؤهلين.

13. قدرة النظام على خلق الترابط بين القيم والممارسات.
- 14- تنفيذ سياسة الحوار والتفاهم والاحترام المتبادل و خفض التصعيد في كافة المجالات إقليمياً ودولياً.
15. الترحيب بالحدثة السياسية والتعددية.
- 16- تفضيل المصالح الوطنية على جميع الميول الفئوية والجماعية والحزبية والعرقية وغيرها.
17. تبني سياسة التسامح والصبر في التعامل مع الآخرين.
18. تحسين كفاءة الجهاز الدبلوماسي للدولة على أساس الخبرة العلمية والمبادرة في العمل وجدارة المديرين والعمل في الوقت المناسب من أجل ضمان المصالح الوطنية في المنطقة وعلى المستوى الدولي.

أنواع الديمقراطية

من وجهة نظر الفلسفة السياسية ، تنقسم الديمقراطية إلى الفئات التالية:

1. ديمقراطية الأغلبية من خلال انتخاب الأكثرية والاستفتاء العام.

2. الديمقراطية القانونية. وبحسب هذه النظرية ، فإن استبداد الأغلبية والأقلية ممنوع ، وكما لا تستطيع الأقلية أن تملي ، فإن انتهاك حقوق الأقلية من قبل الأغلبية غير مسموح أيضاً.

3. الديمقراطية النخبوية ، أي حكم مجموعات النخبة. وفقاً لهذه النظرية ، لا يتم اعتبار الأغلبية العددية للفرد في المجتمع ، ولكن المنافسة الرئيسية بين المجموعات المختارة.

مبادئ الديمقراطية

المبادئ الأساسية للديمقراطية بشكل عام هي كما يلي:

1. تعيين قادة ومسؤولي النظام من خلال انتخابات حرة.
2. تهيئة الأرضية لمشاركة الناس في ادارة شؤون البلاد.
3. مساءلة المسؤولين في البلاد أمام الشعب على جميع مستويات الحكومة.

4. حرية الأفراد ووسائل الإعلام في انتقاد الحكومة.
5. تفعيل المنظمات الشعبية وغير الحكومية (NGO).

حقوق المواطنة

وفقا لمبادئ الديمقراطية ، فإن حقوق المواطنين هي:

1. الحق في الحياة والصحة.
2. حرية الفكر والرأي.
3. حرية التعبير والصحافة.
4. حرية التجمع السلمي.
5. حرية تكوين الأحزاب والجمعيات والنقابات.
6. حرية ممارسة الشؤون الدينية والثقافية السلمية.

7. حرية اختيار الوظيفة.
8. الحرية في الحياة الشخصية ، ما لم تحرم الآخرين من حقوقهم وما لم تخالف القانون.
9. حصانة منازل الناس الخاصة وعدم السماح للضباط بدخول منازلهم إلا بحكم القانون.
10. الحصانات الخاصة في حفظ أسرار الهواتف وما في حكمها وعدم مراقبتها إلا في إطار القانون.
11. عدم التمييز في العرق والدين واللغة والرؤية السياسية في التمتع بالحقوق والحريات القانونية.
12. تحقيق العدالة للمرأة واحترام حقوقها وكرامتها وفق القانون.
13. المساواة بين الأفراد وفئات الشعب أمام القانون.
14. الأخذ بمبدأ البراءة في التعامل مع الناس ، ما لم يثبت خلاف ذلك بشكل قطعي و قانوني.

15. تحريم العنف والتعذيب واستخدام السلاح للأغراض

الأيديولوجية والجماعية والعرقية وغيرها.

16- تحريم السب والقذف ضد الأفراد والمنظمات والجماعات

العرقية وأتباع الديانات.

17. حصانة الناس في الممتلكات والأرواح والشرف والسمعة تحت

حماية القانون.

في مجال الديمقراطيات ، هناك مصطلحات أخرى مثل

"الديمقراطية التشاركية" و "ديمقراطية الحزب الواحد" و

"ديمقراطية الأحزاب المتعددة" ، وقد وردت تفاصيلها في مصادر

العلوم السياسية.

وجهة نظر الاسلام

بعد بيان التعريف والأسس الفكرية والمبادئ الأساسية للديمقراطية ، يجدر النظر إلى رأي الدين الإسلامي في سياق هذه المبادئ.

بعض مبادئ الديمقراطية الليبرالية ، مثل أصالة المادة وأصالة الفرد مقابل أصالة المجتمع ، لا يقبلها الإسلام بالتأكيد. و أما مبدأ المساواة فيرى الإسلام أنه: إذا كانت المساواة لا تتعارض مع العدل فهي صحيحة وواجبة العمل بها ، أما في حالة التعارض بينهما فيقدم مبدأ العدل.

ولكن فيما يتعلق بالعديد من المبادئ الأخرى ، فإن الإسلام يتمسك بهذه المبادئ وكان يؤكد قيمتها قبل ظهور المدافعين عن حقوق الإنسان في العصر الحالي.

هذه المبادئ هي:

الحرية و العدالة الاجتماعية و كرامة الإنسان و الحق في الحياة
والصحة و الرجوع الى آراء الشعب في ادارة شؤون البلاد و سيادة
القانون و السماح و المداراة و البراءة و مكافحة التمييز و
مراعاة حقوق المرأة و تحريم العنف و الالهانة و التعذيب و غيرها
مما ذكرنا.

لقد وصفنا بعض هذه المبادئ بالتفصيل في بعض الكتابات
السابقة. وهنا نشرح باختصار المبادئ المذكورة من منظور
الإسلام.

مبدأ الحرية

الإسلام دين حرية الانسان من قيد العبودية و يشوق الحرية في
الفكر و التعبير. والقرآن الكريم يعتبر نبي الإسلام العظيم رسول
التحرير، و يقول:

"الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا
عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ
الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ
إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ". (سوره الأعراف ، الآية
157).

يقول الإمام علي (ع) في نهج البلاغة عن حرية الإنسان:
"لا تكن عبد غيرك، وقد جعلك الله حراً". (نهج البلاغة،
الكتاب رقم 31؛ و بحار الانوار، المجلد 47).
ويقول ربنا سبحانه و تعالى عن الحرية في الفكر في القرآن
الكريم ، الآية 17 و 18 من سورة الزمر:
"وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ
الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ. الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ
أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ".

العدالة الإجتماعية

إن أهمية العدالة من وجهة النظر الإسلامية هي بدرجة أن

رسول الله (ص) يقدم العدل باعتباره الركن الأساسي لقوام

العالم ويقول:

"بالعدل قامت السموات والارض". (تفسير الصافي، تأليف

الفيض الكاشاني، المجلد 5).

و من أجل هذا، يقدم دين الإسلام إقامة العدل كرسالة

مشتركة لجميع الأنبياء و المرسلين وجميع الكتب السماوية

ويقول:

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ

لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ (سورة الحديد، الآية 25).

و اما العدالة الاجتماعية أيضا هي بدرجة من الأهمية حتى أن
الامام علي بن أبي طالب عليه السلام، يرى ذلك قواما
للحكومة و يقول في رسالته لمالك الأشتر النخعي لما ولاه مصر:

ثُمَّ اللَّهُ اللَّهُ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ
وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُحْتَاجِينَ وَأَهْلِ الْبُؤْسَى وَالزَّمْنَى فَإِنَّ فِي هَذِهِ
الطَّبَقَةِ قَانِعًا وَمُعْتَرًّا ، وَاحْفَظْ لِلَّهِ مَا اسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ
فِيهِمْ، وَاجْعَلْ لَهُمْ قِسْمًا مِنْ بَيْتِ مَالِكَ، وَقِسْمًا مِنْ غَلَاتِ
صَوَافِي الْأَسْلَامِ فِي كُلِّ بَلَدٍ، فَإِنَّ لِلْأَقْصَى مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي
لِلْأَدْنَى، وَكُلُّ قَدٍ اسْتُرِعِيَتْ حَقُّهُ، فَلَا يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ بَطْرٌ
فَإِنَّكَ لَا تُعْذِرُ بِتَضْيِيعِ التَّافِهِ لِاحْكَامِكَ الْكَثِيرِ الْمُهْمِّمْ. فَلَا
تُشْخِصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ، وَلَا تُصْعِرْ خَدَّكَ لَهُمْ وَتَفْقِدْ أُمُورَ مَنْ
لَا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ الْعُيُونُ وَتَحْقِرُهُ الرِّجَالُ،
فَفَرِّغْ لِأَوْلِيكَ ثِقَتَكَ مِنْ أَهْلِ الْخَشْيَةِ وَالتَّوَاضُّعِ، فَلْيَرْفَعْ
إِلَيْكَ أُمُورَهُ بِالْأَعْذَارِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ تَلْقَاهُ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ مِنْ

يَبْنِي الرِّعِيَّةَ أَحْوَجُ إِلَى الْأَنْصَافِ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَكُلُّ فَاعْذِرٍ إِلَى
اللَّهِ تَعَالَى فِي تَأْدِيَةِ حَقِّهِ إِلَيْهِ. وَتَعَهَّدَ أَهْلَ الْيَتِيمِ وَذَوِي الرِّقَّةِ
فِي السِّنِّ مِمَّنْ لَا حِيلَةَ لَهُ، وَلَا يَنْصِبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ، وَذَلِكَ
عَلَى الْوَلَاةِ ثَقِيلٌ، وَالْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ، وَقَدْ يُخَفِّفُهُ اللَّهُ عَلَى
أَقْوَامٍ طَلَبُوا الْعَاقِبَةَ فَصَبَرُوا أَنْفُسَهُمْ، وَوَثِقُوا بِصِدْقِ
مَوْعُودِ اللَّهِ لَهُمْ. وَاجْعَلْ لِذَوِي الْحَاجَاتِمِ نَكَ قِسْمًا تُفَرِّغُ لَهُمْ
فِيهِ شَخْصَكَ، وَتَجَلِسُ لَهُمْ مَجْلِسًا عَامًّا، فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لِلَّهِ
الَّذِي خَلَقَكَ، وَتُقْعِدُ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأَعْوَانَكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ
وَشُرَطِكَ حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَعَتِّعٍ. فَإِنِّي سَمِعْتُ
رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ: «لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ
لَا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَعَتِّعٍ». ثُمَّ
احْتَمَلَ الْخُرْقَ مِنْهُمْ وَالْعِيَّ، وَنَحَّ عَنْكَ الضِّيقَ وَالْأَنْفَ
يَبْسُطِ اللَّهُ عَلَيْكَ بِذَلِكَ أَكْنَافَ رَحْمَتِهِ، وَيُوجِبُ لَكَ ثَوَابَ
طَاعَتِهِ، وَأَعْطِي مَا أَعْطَيْتَ هَنِيئًا، وَامْنَعْ فِي إِجْمَالٍ وَإِعْذَارٍ.

في هذا الخطاب العميق يتطرق الإمام علي (ع) إلى أهمية الاهتمام بالفئات المحرومة والضعيفة في المجتمع ويقدم ذلك كمبدأ أساسي للحكومة من منظور الإسلام.

المساواة ومكافحة التمييز العنصري

القرآن الكريم ، باعتباره كتاب المسلمين المقدس ، ينص صراحة على ميثاق المساواة بين جميع البشر، ويقول في هذا الصدد:

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ. (سورة الحجرات، الآية 13).

بالإضافة إلى الآية السابقة ، هي هنا روايات قيمة من كبار قادة

الإسلام عن المساواة بين جميع البشر ، وسنقدم لكم مثلاً

عنها:

يقول جابر بن عبد الله:

خطبنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في وسط أيام

التشريق خطبة الوداع فقال: يا أيها الناس ألا إن ربكم

واحد، ألا إن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا

لعجمي على عربي، ولا لأسود على أحمر، ولا لأحمر على

أسود، إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم.

ألا هل بلّغت؟

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: فليبلغ الشاهد الغائب. (تفسير القرطبي، المجلد 9؛ و

بحار الانوار، المجلد 15).

الاستقلال السياسي

ويقول القرآن الكريم في هذا الصدد:

"وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا". (سورة

النساء، الآية 141).

كرامة الإنسان

أعطت مدرسة الإسلام الأصيل ، على مدى قرون ، أعلى قيمة

للإنسان ونصحت المسلمين بمراعاتها. باختصار ، إليك ثمانية

مواقف لكرامة البشر من وجهة النظر الإسلامية:

الإنسان ، صاحب الأمانة الألهية

ويقول القرآن الكريم في هذا الصدد:

"انا عرضنا الأمانة على السماوات و الأرض و الجبال فابين ان يحملنها و اشفقن منها و حملها الانسان" (سورة الأحزاب، الآية 72).

الإنسان ، خليفة الله على الأرض

كما جاء في كلام الله تعالى في هذا الصدد:

"و اذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء و نحن نسبح بحمدك و نقدر لك قال انى اعلم ما لاتعلمون. و علم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين. قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم. قال يا آدم انبئهم باسمائهم فلما انبئهم بأسمائهم قال الم اقل لكم انى اعلم غيب

السّمَاوات و الارض و اعلم ما تبدون و ما كنتم تكتمون".

(سورة البقرة ، الآية 30-33).

يستفاد من سياق الآيات المذكورة أن معنى هذه الخلافة يمكن

أن يكون خلافة الله تعالى وليس خلافة نوع من مخلوقات

الأرض التي عاشوا فيها وانقرضوا في سابق الزمان.

لذلك فإن هذه الخلافة لاتخص شخص آدم أبي البشر عليه

السلام.

كما يستفاد من الآية التالية أيضا نفس الحقيقة:

"ثم خلقناكم خلائف في الارض". (سورة الفاطر، الآية 39).

الانسان ، مظهر التقويم الأحسن

يقول الله سبحانه و تعالى في كلامه المجيد:

"لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم". (سورة التين، الآية
 (4).

التقويم هنا يعني ما يوجب القوام و هو ما يستلزم الثبات في
 الأمر.

فإن الانسان لديه أفضل تناسق و قوام من حيث الخلق. و
 هو أوفر حظا من أي مخلوق آخر للوصول الى مقام الخلافة
 الالهية و العروج الى الملكوت الأعلى.

الإنسان ، حامل العهد الألهي

نقرأ في القرآن الكريم في هذا الصدد كما يلي:

"و اذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم و اشهدهم
 على أنفسهم أأست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم
 القيامة انا كنا عن هذا غافلين". (سورة الاعراف، الآية
 (172).

الانسان ، الساعى الد لقاء الله

ونقرأ في هذا الصدد أيضاً في القرآن الحكيم:

"يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحاً فملاقيه". (سورة

الانشقاق، الآية 6).

من الواضح أن المقصود من لقاء الله في هذه الآية الكريمة هو

الوصول إلى مقام القرب إلى الله و الدرجة العليا من الكمال.

الانسان ، المتعلم من الله

قال الله تعالى في سورة الرحمن:

"الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ".

و يقول في موضع آخر:

"عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَم". (سورة العلق، الآية 5).

الانسان ، المكرم من جانب الله

نقرأ في سورة الأسرى كما يلي:

"ولقد كرّمنا بني آدم و حملناهم في البرّ و البحر و رزقناهم
من الطيّبات و فضّلناهم على كثيرٍ ممّن خلقنا تفضيلاً".
(سورة الأسرى ، الآية 70).

الانسان ، العالم المتفوق

يبدو هذا الوصف المجيد للانسان في الأبيات التالية المنسوبة
في العديد من ديوان القصائد إلى أمير المؤمنين علي بن أبي
طالب (ع):

دوائك فيك و لا تبصر

و دائك عنك و لا تشعر

و أنت الكتاب المبين الذي

بأحرفه يظهر المضمّر

أتزعم انك جرم صغير

وفيك انطوى العالم الاكبر

احترام الحقوق الأساسية للانسان

يدعو الدين الإسلامي المقدس ، أكثر من أي دين آخر ، الناس

إلى احترام حقوق جميع البشر (مسلمين وغير مسلمين).

يشير الإمام علي (ع) في رسالته إلى مالك الأشتر إلى هذا المبدأ

الإسلامي الرائع فيقول:

وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ،

وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعًا ضَارِيًا تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ:

إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرُكَ فِي الْخَلْقِ.

يَفْرُطُ مِنْهُمْ الرِّزْلُ وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ، يُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي

الْعَمْدِ وَالْخَطَا.

فَأَعْطِيهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ أَنْ يُعْطِيَكَ

اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ، فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ، وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ

فَوْقَكَ، وَاللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَلَائِكَ! وَقَدْ اسْتَكْفَاكَ أَمْرُهُمْ، وَابْتَلَاكَ

بِهِمْ.

في هذا الخطاب الجميل ، يرى أمير المؤمنين (ع) أن لكل الناس

الحق على أكتاف حكام المسلمين ، ويشير إلى أنه إذا كان

الناس مسلمين فلهم حق الاخوة على أكتاف ولاة المسلمين ،

وإذا لم يكونوا مسلمين. سيظل لهم الحق في أعناقهم لأنهم

بشر و نظير لهم في الخلق، ويجب مراعاة كلا الحقين.

ديمقراطية

عندما ندرس تاريخ الصدر الأول من الاسلام، نرى أن النبي

الأعظم صلى الله عليه و آله و سلم، كان يعتمد على البيعة

كعامل رئيسي لاثبات الشرعية للحكم.

و من أجل ذلك، قام زعماء الأمة الاسلامية من بعده بالاهتمام

لمراعات آراء الناس و احترام أفكارهم و متطلباتهم المشروعة.

و من هذا المضمار، يقول الإمام علي (ع) في مجال الاهتمام

بالرأي العام وتفضيله على فرض رأي الأقلية الاستبدادية ،

مخاطبا مالك الأشتر النخعي ، الذي انتخب حاكما لمصر ، و

يقول:

وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ، وَأَعَمُّهَا فِي
 الْعَدْلِ، وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ، فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ
 بِرِضَى الْخَاصَّةِ وَإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ.
 وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي مَوْوَنَةً فِي الرَّخَاءِ،
 وَأَقْلَ مَعُونَةً لَهُ فِي الْبَلَاءِ، وَأَكْرَهَ لِلْإِنْصَافِ، وَأَسْأَلَ بِالْأَلْحَافِ
 وَأَقْلَ شُكْرًا عِنْدَ الْأَعْطَاءِ، وَأَبْطَأَ عُذْرًا عِنْدَ الْمُنْعِ، وَأَضْعَفَ
 صَبْرًا عِنْدَ مُلِمَّاتِ الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ ، وَإِنَّمَا عَمُودُ
 الدِّينِ ، وَجَمَاعُ الْمُسْلِمِينَ، وَالْعُدَّةُ لِلْأَعْدَاءِ، الْعَامَّةُ مِنَ الْأُمَّةِ.
 فَلْيَكُنْ صِغُوكَ لَهُمْ، وَمَيْلُكَ مَعَهُمْ.

و يشير الإمام علي (ع) في نفس الرسالة، إلى نوعية علاقة

الحكومة بالناس من وجهة نظر إسلامية ، ويقول:

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَى إِلَى حُسْنِ ظَنِّ وَالٍ بِرِعِيَّتِهِ مِنْ
 إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ، وَتَخْفِيفِهِ الْمُؤُونَاتِ عَلَيْهِمْ، وَتَرْكِ اسْتِكْرَاهِهِ
 إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُ قَبْلَهُمْ ، فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذَلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ
 لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِرِعِيَّتِكَ ، فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ
 نَصَبًا طَوِيلًا، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ حَسَنَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ حَسَنَ بِلَاؤُكَ
 عِنْدَهُ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ سَاءَ بِلَاؤُكَ عِنْدَهُ. وَلَا
 تَنْقُضْ سُنَّةَ صَالِحَةٍ عَمِلَ بِهَا صُدُورُ هَذِهِ الْأُمَّةِ،
 وَاجْتَمَعَتْ بِهَا الْأُلُفَةُ، وَصَلَحَتْ عَلَيْهَا الرَّعِيَّةُ، لَا تُحَدِثَنَّ
 سُنَّةَ تَضُرُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاضِي تِلْكَ السَّنَنِ، فَيَكُونَ الْأَجْرُ
 بِمَنْ سَنَّهَا، وَالْوِزْرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا. وَأَكْثَرُ مَدَارِسَةِ
 الْعُلَمَاءِ، وَمُنَافِئَةِ الْحُكَمَاءِ، فِي تَثْبِيتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرٌ
 بِلَادِكَ، وَإِقَامَةِ مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ.

حقوق المرأة

قد شرحنا في كتابنا "الاسلام العصري" أنه من خلال مجموعة آيات القرآن والأحاديث الإسلامية ، يتضح أنه من وجهة نظر الإسلام ، فإن مكانة الرجل والمرأة "كإنسان" متساوية أمام الله. ولتوضيح هذه المسألة نشير إلى الآية الأولى من سورة النساء على النحو التالي:

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ...".

كما ترى في الآية المشار إليها ، فإن المنشأ الأساس للرجل والمرأة، على حد سواء ، هو حقيقة تُعرف بـ "النفس الواحدة" وهي روح مقدسة انسانية.

لذلك فإن أرواح الرجال والنساء لها نفس المكانة أمام الله.
وعليه ، فإن الفروق الجسدية بين الرجل والمرأة هي فقط لأن
كل من الرجل والمرأة يكمل الآخر ولكل منهما كماله الخاص ؛
لكنهما في نفس الوقت متساويان في الإنسانية والكمال
البشري. وبالتالي ، فإن الاختلافات الجسدية ليست سبباً
لتفوق إحدى الطائفتين على الأخرى.

احتجاج والرد عليه

بعض الباحثين ، احتجاجاً على نظرية المساواة بين الرجل و
المرأة ، يثيرون السؤال التالي:

ان كانت المرأة و الرجل متساويان ، فلماذا يسمي القرآن
الرجال بـ "القوامين على النساء"؟ ألا يعني هذا أن الرجال
أفضل من النساء؟

للإجابة على هذا الشك نأتي بنص الآية المشار اليها كالتالي:

"الرجال قوَامون على النساء بما فضلّ الله بعضهم على
بعض و بما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات
حافظات للغيب بما حفظ الله". (سورة النساء الآية 33).

علينا أولاً أن نشرح معنى كلمة "قوام" في هذه الآية.

هذه الكلمة كما في قواميس اللغة العربية ، تعني "المتكفل
بالأمر". فالقوَام هو الشخص المسؤول عن شيء ما ، و الذي
يكون قوام أمر معين على عهده.

بما أن مهمة توفير النفقات والدعم المالي للأسرة وفقاً للإسلام هي مسؤولية الرجل ، فإن الله تعالى في هذه الآية الكريمة من القرآن الكريم ، قد اعتبر الرجل كداعم للمرأة في البيت و كمسؤول عن إعالة أفراد الأسرة.

وعليه ، فإن هذه الآية ليست بصدد إثبات فضل الرجل على المرأة ، بل بيان مسؤولية الرجل وواجبه تجاه أسرته. و بناءً على المساواة بين الرجل و المرأة في مقام الانسانية، فكما أن الرجل له الحق للمشاركة في ادارة الحكم في البلاد ، فكذلك للمرأة أيضا نفس الحق من دون تمييز.

مبدأ السماحة والمدارة

الإسلام هو دين السماحة ، ويدعو أتباعه للتحلي بهذه الصفة

الانسانية و مراعات المدارة في التعامل مع جميع الناس.

ويقول نبي الإسلام الكريم (ص) في هذا الصدد:

"أني أرسلت بحنيفة سمحة".

ويقول أيضا:

"أحبّ الدين إلى الله الحنيفة السمحة".

(كتاب وسائل الشيعة ، كتاب الطهارة ، أبواب الماء المضاف ،

باب 8 ، حديث 3).

ويقول الامام محمد الباقر عليه السلام:

إنّ الخوارج ضيّقوا على أنفسهم بجهالتهم ، إنّ الدين أوسع
من ذلك. (وسائل الشيعة، الحديث الثالث من الباب 50 من
أبواب النجاسات).

و يقول الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام:

"لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يكون فيه ثلاث خصال: سنّة
من ربّه و سنّة من نبيّه و سنّة من وليّه. فأما السنّة من ربّه
فكتمان سرّه، و اما السنّة من نبيّه فمدارة الناس ، و اما
السنّة من وليه فالصبر في البأساء والضراء". (اصول الكافي،
المجلد 3).

كما يقول النبي الأعظم صلى الله عليه و آله ، في حديث آخر:

"أمرني ربي بمدارة الناس كما أمرني بأداء الفرائض". (بحار

الانوار، المجلد 13).

و من هذا المضمار، يؤكد القرآن الكريم على موضوع

"السماحة" ويقول ربنا الكريم في الآية 78 من سورة الحج:

وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِثْلَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ

سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً

عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا

الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ.

و يقول في الآية 199 من سورة الأعراف:

خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ.

كما نقرأ في الآية 34 من سورة "فصلت" كما يلي:

وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا
الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ .

و من الآيات القرآنية في هذا المجال هي الآية 6 من سورة

المائدة:

"مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ
وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ".

و يقول في الآية 185 من سورة البقرة:

"يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ".

و في الآية 286 من نفس السورة:

"لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا
اَكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ

عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا
 مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا
 فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ".

و من أجل هذا ، قد بنى أمير المؤمنين عليه السلام حكمه
 العادل على أساس السماحة و المداراة و يقول لوالي بلاد
 مصر:

وَلَا تَنْدَمَنَّ عَلَى عَفْوٍ، وَلَا تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبَةٍ، وَلَا تُسْرِعَنَّ
 إِلَى بَادِرَةٍ وَجَدْتَ مِنْهَا مَندُوحَةً وَلَا تَقُولَنَّ: إِنِّي مُؤَمَّرٌ أَمْرُ
 فِاطِمَةَ ، فَإِنَّ ذَلِكَ إِدْغَالٌ فِي الْقَلْبِ، وَمَنْهَكَةٌ لِلدِّينِ،
 وَتَقَرُّبٌ مِنَ الْغَيْرِ وَإِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ

سُلْطَانِكَ أُمَّةً أَوْ مَخِيلَةً فَانظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ اللَّهِ فَوْقَكَ
، وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنَّ
ذَلِكَ يُطَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ طِمَاحِكَ وَيَكْفُ عَنكَ مِنْ غَرْبِكَ
وَيَفِيءُ إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ عَنكَ مِنْ عَقْلِكَ! إِيَّاكَ
وَمُسَامَاةَ اللَّهِ فِي عَظَمَتِهِ، وَالتَّشْبُهَ بِهِ فِي جَبْرُوتِهِ، فَإِنَّ
اللَّهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ، وَيُهَيِّنُ كُلَّ مُخْتَالٍ".

و يقول أيضا – كما في كتاب نهج البلاغة - :

وَلْيَكُنْ أَبْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ، وَأَشْنَأَهُمْ عِنْدَكَ، أَطْلَمَهُمْ
لِمَعَايِبِ النَّاسِ، فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوبًا، الْوَالِي أَحَقُّ مَنْ
سَتَرَهَا، فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنكَ مِنْهَا، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ
تَطْيِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ، وَاللَّهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنكَ،

فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ يَسْتُرِ اللَّهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ سِتْرَهُ
مِنْ رَعِيَّتِكَ. أَطْلِقْ عَنِ النَّاسِ عُقْدَةَ كُلِّ حَقْدٍ وَقَطِّعْ
عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وَثْرٍ وَتَغَابَ عَنِ كُلِّ مَا لَا يَضِحُ لَكَ، وَلَا
تَعْجَلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاعٍ، فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاشٌّ، وَإِنْ تَشَبَّهَ
بِالنَّاصِحِينَ وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَى إِلَى حُسْنِ
ظَنِّ وَالِ بَرَعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ، وَتَخْفِيفِهِ الْمُؤُونَاتِ
عَلَيْهِمْ، وَتَرْكِ اسْتِكْرَاهِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُ قِبَالَهُمْ ،
فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذَلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ
بَرَعِيَّتِكَ ، فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَبًا طَوِيلًا،
وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ حَسَنَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ حَسَنَ بِلَاؤُكَ عِنْدَهُ،
وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ سَاءَ بِلَاؤُكَ عِنْدَهُ.

السبب الأساس لهذا التأكيد على الاهتمام بالرأي العام
للناس هو أن أحد أهم معايير الحكومة الديمقراطية
هو الحصول على شرعية النظام من وجهة نظر
الشعوب.
